القدس معالم وحضارة

د .أحمد أمين جمعة الشربتلى♦

تعرف القدس بأنها قصة للإنسانية و السلام ، تصارع على أرضها الحق و الباطل طيلة ستة قرون منذ بناها العرب اليبوسيون** قبل الميلاد بأربعة آلاف عام وحتى اليوم ... هى درة تاج العالم ، لذا فهى مطمع للغزاة ... إزدهرت فيها الديانات و منها انطلقت مشاعل الحضارة لتضئ تاريخ الأمة وجنبات العالم.

هى موطن كثير من الأنبياء والرسل[١]. يقول عنها القزوينى "هى المدينة المشهروة التى كانت محل الأنبياء وقبلة الشرائط ومهبط الوحى، وما فيه من موضع شبر إلا وصلى فيه النبى (ص) أو قام فيه ملك [٢]

وللقدس تارخ طويل متجذر فى عمق الحضارات التى عرفها العالم على مر التاريخ، فموقعها مسكوناً منذ فترة الاستقرار والتحضر كما ثبت نماذج الفخار التى عثر عليها المنقبون على منحدر تل أوفيل جنوب المدينة الحالية وأرجعوها إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد حيث كان العرب الكنعانيون قد سكنوا هذه المنطقة قبلها بألفى

♦ مدرس الفنون والعمارة والآثار الإسلامية ، المعهد العالى للسياحة والفنادق بالعريش

** اليبوسيون هم قبيلة منحدرة من أصل كنعانى، نشأوا فى قلب الجزيرة العربية، ثم نزحوا عنها مع نزح القبائل الكنعانية التى ينتمون اليها، انهم أول من سكن القدس، وأول من بنى فيها لبنة . عندما رحل الكنعانيون عن الجزيرة العربية رحلوا جماعات منفصلة وقد حطت هذه الجماعات فى أماكن مختلفة من فلسطين فزاعت تدعى (أرض كنعان) ، فبعضهم اعتصم بالجبال، والبعض الآخر بالسهول والوديان، وعاشو فى بداية الأمر متفرقين فى أنحاء مختلفة، حتى المدن التى أنشأوها ومنها (يبوس) وشكيم، وبيت شان، ومجدو، وبيت آيل، وجيزر، وأشقلون، وتعنك وغزة وغيرها من المدن التى لاتزال الى يومنا هذا . (جعفر الخليلى ، موسوعة القباب المقدسة،ج١ قسم القدس، دار المعارف، بغداد،ط١ ، ١٩٧١ م ، ص ٥٤ ، وعبد الحليم محمود ، بيت المقدس فى الاسلام، مجمع البحوث الاسلامية ، الكتاب الخاص، رجب ١٣٨٩ هـ / سبتمبر ١٩٦٩ م ، ص ٨ ومابعدها) . وكانت يبوس فى ذلك العهد آهلة بالسكان، واشتهرت بزراعة العنب والزيتون كما عرفوا أنواع عديدة من المعادن منها النحاس والبرونز، وعرفوا أيضا أنواع عديدة من الخضر والحيوانات الداجنة، والخشب الذى استخدم فى صناعاتهم العديدة، كما اشتهروا بالأسلحة وصناعة الملابس. ويستنتج المؤرخون من بعض الآثار ولاسيما الآثار المصرية فى أيام الفراعنة الى جانب الأخبار المروية بأن اليبوسيون مالبثو أن أصبحوا ذوى حضارة.وكانت القدس المسماه (يبوس) عنوان تلك الحضارة التى كانت تتجلى فى عماراتها وأبنيتها الفخمة وأسباب معيشة ورفاهية سكانها. (جعفر الخليلى، موسوعة العتبات المقدسة، نفس المرجع السابق، ص ص ٥٤-٥٥ .)

[١] محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، دراسة تاريخية فى رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين، مركز الإعلام العربى، ط ١ ، القاهرة، ٢٠٠٤ م ، ص ٢١ .

[٢] القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠ م ، ص ص ١٥٩-١٦٠ .

عام تقريباً حينما حلت موجة جفاف بشبه الجزيرة العربية واستقروا فى الأراضى الواقعة شرق البحر المتوسط ، والتى تشمل فى الوقت الحاضر بلدان سوريا والأردن ولبنان وفلسطين، وفى عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد تقريباً بنى اليبوسيون، أول حصن لهم على تل أوفيل بمساحة تبلغ سبعين ألف متراً مربعاً، وكان بالحصن ثلاثون برجاً وسبعة أبواب فى موقع محاط بالوديان من جهات ثلاث.

وقد حظيت القدس بمكانة عظيمة فى التاريخ الإنسانى،كما تميزت بخصوصية أكتسبتها من إنفرادها بالبعد الروحى المرتبط بالزمان والمكان فهى فى الزمان ضاربة جذورها منذ الأزل بوجهها الكنعانى الحضارى،وتمتعت بكلاً من الواقع والموضع، فكانت ملتقى الإتصال والتواصل بين قارات العالم،تعاقبت عليها الحضارات،كما أن الآثارالعظيمة والمخطوطات الأثرية دلالة على عظم وقدسية المكان التى شهدها التاريخ.

ولهذه الظاهرة الحضارية أسباب ومبررات هى سر خلودها واستمرارها آلاف السنين، رغم كل ما حل بها من أزمات ونكبات وحروب أدت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها ثمانية عشر مرة عبر التاريخ، وفى كل مرة كانت تخرج أعظم وأصلب من سابقتها وأكثر رسوخاً، دليلاً على إصرار المدينة المقدسة على البقاء.

ومما يزيد القدس جمالاً أنها تقع على جبل عال مستدير [٣]، محاط بعدد من الجبال. وبسبب موقعها هذا كان قاصدها لا يتمكن من رؤيتها إلا إذا كانت المسافة التى تفصله عنها لا تزيد عن الميل الواحد،وكانت رؤية مدينة القدس من تلك المسافة تعد فى ذلك العهد من العجائب المشهورة لحسن منظرها[٤].

فإذا قطع المسافر الجبال المحيطة بالقدس وصعد للمدينة فإن كل المشقة تزول لما كان يجد فيها من أنس وبهجة[٥].

ومن المعروف أن القدس أحد المراكز الحضارية الهامة التى كان لها دور كبير فى التاريخ، فقد توالى على السكن فيها العديد من الأقوام البشرية، حيث دلت بقاياهم على مدى اهتمامات كل من هذه الأقوام بالمدينة،ومنذ أن وجدت القدس وهى تحظى باهتمام العالم بأسره، ويعود هذا الاهتمام إلى قدسية المدينة بالنسبة للديانات السماوية الثلاث : اليهودية، والمسيحية، والإسلام ، يقول البشارى المقدسى واصفاً المدينة فى نهاية القرن الثالث الهجرى – العاشر الميلادى عن أهل بيت المقدس "بنيانهم حجر

---

[٣] العمرى، ابن فضل الله ، مسالك الأبصار، ج٣ ،القاهرة ١٩٢٤م ص ١٨٠ ، والقلقشندى، أبو العباس أحمد على،صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ج٤ ، ص ١٠٢ .

[٤] الحنبلى،مجد الدين العليمى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان ١٩٧٣م ، ج٢ ، ص ٤٠٦.

[٥] المصدر نفسه، نفس الصفحة .

لاترى أحسن منهم ولا أنفس منهم ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدها"[٦].

إن أول عهد الإسلام بالقدس ابتدأ بالاعتقاد بمكانة هذه المدينة والمسجد الأقصى والصخرة منه على الأخص وقدسيتها عند الله ثم إتخاذ الصخرة قبلة في الصلاة بصفتها القبلة التى صلى إليها الأنبياء من أيام يوشع عليه السلام وظلت إلى زمان الرسول (ص). وهو أول من صلى إليها الرسول الكريم (ص). وكان يجعل الكعبة بين يديه فى مكة المكرمة، ولما هاجر (ص) أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، فصلى إليها ستة عشر، وقيل سبعة عشر ثم حولت القبلة إلى الكعبة المشرفة. وهى قبلة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكان ذلك فى شعبان سنة اثنين للهجرة فى وقت صلاة العصر[٧].

العموريون والكنعانيون:

إن الهجرة الكنعانية من الجزيرة العربية حدثت قبل سبعة آلاف سنة وذلك من خلال تتبع الآثار فى مدنهم القديمة، ووفقاً للتقديرات التاريخية، ولعل أقدمها مدينة أريحة المعروفة اليوم والتى تعتبر أقدم مدينة فى العالم، والكنعانيون أول من سكنوا هذه المنطقة وأول من بنى حضارة على أرض فلسطين. حيث ورد فى الكتابات العبرية أن الكنعانين هم سكان البلاد الأصليين، كما ذكر فى التوراة أنه الشعب الكنعانى الذى هو أصلاً العمورى، وكذلك الفنيقيون، فقد كان الكنعانيون والفنيقيون هم فى الأصل شعباً واحداً، تجمعهما روابط الدين واللغة والحضارة[٨].

وقد احتل الكنعانيون فى ذلك الوقت موقعاً استراتيجياً تحيط به امبراطوريتان قويتان: الحضارة الفرعونية فى الجنوب الشرقى، وحضارة مابين النهرين فى الشمال الغربى[٩]، مما جعل أرضهم جسراً بين الامبراطوريتين ومحوراً للصراعات والحروب المستمرة، فأصبح نظامهم السياسى يأخذ شكل المدن المستقلة الروابط الإتحادية، ومن أبرز مدنهم الساحلية بيروتويوس "بيروت الحالية"، و صيدون "صيد الحالية"، وطرابلس وغزة وشكيم "نابلس حالياً"[١٠].

---

[٦] المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٦٦ . وأكد على ذلك ياقوت الحموى فى القرن السابع الهجرى – الثالث عشر الميلادى، وتجدر الاشارة الى مهنة قطع الحجارة وإعدادها للبناء والتصدير مازالت حتى الآن من أهم القطاعات الاقتصادية فى فلسطين والقدس بشك خاص .

[٧] جعفر الخليلى، موسوعة العتبات المقدسة، ج١ من قسم القدس، ط ١ ، دار التعارف، بغداد ١٩٧٠م ، ص ٧٤ ، نقلا عن ابن كثير القرشى البداية والنهاية فى التاريخ، ج١ ، ص ٣٠٨ .

[٨] محمد صلاح سالم،القدس،الحق والتاريخ والمستقبل،عين للدراسات والبحوث،ط١،٢٠٠٣م،ص٤٦ .

[٩] مهدى عبد الهادى، تعقيب على بحث أعده هنرى كنن بعنوان " مفاهيم إسرائيل – سياستها وممارسته على القدس "، واشنطن ١٩٨٥ .

[١٠] المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة، جامعة الدول العربية، ١٩٨٩م ص ١٩٣ .

ومن أشهر ملوك الكنعانين "ملكى صادق" الذى يعتبر أول من بنى يبوس وأسسها، فالكنعانيون واليبوسيون أسسوا الحضارة الكنعانية ذات الطابع الخاص، وقد ورد ذكرها فى ألواح "تل العمارنة" ♦ ، ظهر بينهم ملوك عظماء بنوا القلاع وأنشأوا الحصون وأسواراً من طين.

وعلى مر القرون مضت على بناء "أورسالم" مرت المدينة المقدسة – وهى قلب فلسطين بجميع المراحل التى مرت بها فلسطين الشعب الكنعانى العربى الذى أسس المدينة فى زمن بعيد. وقد أقام فيها بيتاً للعبادة يذكر فيه اسم الله فأصبحت قبلة ومحجاً، واستمرت هذه صفة المدينة مع تتالى الرسالات السماوية وانتقال شعب فلسطين والمنطقة من الديانة الكنعانية إلى اعتناق الديانات الثلاث، اليهودية، والمسيحية، والإسلام. وازدهرت الحضارة الكنعانية فى فلسطين وكانت القدس أهم مراكزها.

لقد شهدت القدس وفلسطين منذ القرن العاشر ق.م وحتى الفتح العربى الإسلامى تتابع حكم دول وإمبراطوريات تداولت الأيام فيها. فقد حكمها المصريون فى عهد شيشنق لفترة قصيرة ثم حكمها الآشوريون فالكلدانيون فالفرس فالإغريق فالرومان فالروم البيزنطيين[١١]. وحفلت هذه العهود بأحداث عديدة تجلت من خلالها قدرة الشعب الفلسطينى على التكييف وعلى الجمع بين الأصالة والتجديد بالحفاظ على هويته وبالتفاعل مع التجارب الحضارية المختلفة.

وكان المصريون القدماء يطلقون على القدس اسمها "اليبوسى"، "يابتى" وأحياناً يستخدمون اسمها الكنعانى "أوروسالم" ومن المحتمل أن صيغة هذه الكلمة آرامية تتركب من مقطعين: المقطع الأول "أور" بمعنى موضع أو مدينة، والثانى "سالم" بمعنى السلام وهو غالباً اسم إله وثنى لسكان فلسطين الأصليين وهو إله سلامة القوافل [١٢](١٢)، وعلى ذلك فكلمة "أوروسالم" تعنى مدينة السلام.

♦ ورد ذكر القدس فى تل العمارنة فى القرن الرابع عشر ق.م باسم " يورو سالم " وفى النقوش الآشورية باسم " أورو سليمو " . (جعفر الخليلى، موسوعة العتبات المقدسة، ج١ ، دار التعارف، بغداد ، ط١ ، ١٩٧١م ، ص ٥٤ ومابعدها . وأقدم اسم لها فى العهد القديم هو" شاليم " كما ورد ذكرها فى سفر يوشع باسم " أور شليم " واشتهرت المدينة بعد الفتح باسم " بيت المقدس " ، والقدس الشريف، والمدينة المقدسة، ولقبت بألقاب عدة منها دار السلام، ومدينة السلام، وقرية السلام، لمزيد من التفاصيل أنظر، سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، دار المريخ للنشر، الرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، ص ص ٢٧-٢٨ .

[١١] وثيقة القدس، منظمة المؤتمر الاسلامى، لجنة القدس، مطابع بيت المقدس، عمان – الأردن، ١٩٨٤م ، ص ص٣٠-٣١ .

[١٢] سيد فرج راشد، القدس، عربية اسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة،ط٢،القاهرة٢٠٠٠م،ص٣١ .

أما "بيت المقدس" فقد أطلق على المدينة بدءاً من العصر الإسلامى،ومن أسمائها"الزيتون" والتى ورد ذكرها فى القرآن الكريم "والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين".

قال بن عساكر عن أبى عباس "إن التين بلاد الشام والزيتون فى بلاد المقدس،وطور هو الجبل الذى كلم الله منه موسى عليه السلام،وهذا البلد الأمين هو مكة المكرمة.

وقد تجسدت قدسية القدس فى إسراء سيدنا محمد (ص) إلى الصخرة المقدسة، وبها مصلى الأنبياء والرسل حيث صلى رسولنا الكريم(ص) بهم إماماً،ومنها عرج إلى السماوات العلى، ثم عاد إلى القدس ومنها إلى مكة المكرمة. وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه: سألت رسول الله (ص) عن أول مسجد وضع على الأرض فقال: المسجد الحرام. قلت ثم أى، قال المسجد الأقصى، قلت وكم بينهما، قال: أربعون عاماً.

فالقدس بأنبيائها ورسلها وعبادتها تنتمى إلى الإسلام من قديم الأزل ومن الجدير بالملاحظة أن نذكر أن المسلمين بعد أن هزموا الروم فى معكرة اليرموك وفتحوا الشام، توجه أبو عبيدة بن الجراح إلى فلسطين وحاصر مدينة إيليا "القدس" فترة أربعة أشهر، وتم تسليمها فى السنة الخامسة عشر من الهجرة / ٦٣٦ م فى حضور الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ففتحت له أبوابها وعندما دخلها أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأعطاهم عهداً بذلك[١٣].

إن أشمل مصطلح قرأنى يحمل فى طياته فضائل بيت المقدس والسمات الخاصة به هو "أرض البركة" فقد ذكر بيت المقدس على أنه أرض البركة خمس مرات فى أربع صور من القرآن الكريم هى جميعها آيات مكية، وتشير هذه الآيات إلى مكانة بيت المقدس والبركة التى به والبركة هى النعمة الإلهية وهى النعمة والنماء والزيادة أيضاً وهى أرض الأنبياء، ويمكن للمرء أن يشعر بالعناصر الملموسة للبركة ويراها فى كل مكان فى بيت المقدس وفى المناطق المحيطة به.

وإذا كانت بركة مكة المكرمة والمدينة المنورة خاصة بالمسلمين دون غيرهم، فإن بركة بيت المقدس تخص كل إنسان فى العالم. فوفقاً لإحدى آيات القرآن الكريم فإن بيت المقدس هو "الأرض التى باركنا فيها للعالمين" الأنبياء ٧١[١٤]. وحيث أن هذه الآية تشير إلى عصر سيدنا إبراهيم عليه السلام، فإنه يمكن للمرء القول بأن هذه البركة للعالمين فى بيت المقدس منحت له قبل عصره إن لم يكن منذ بدء الخليقة. وكون هذه الأرض هى أرض الأنبياء فهذا جزء من تجليات هذه البركة. ومما لاشك

---

[١٣] ابن الأثير، كتاب الكامل فى التاريخ، ج١١ ، بيروت ١٩٦٩، ص ص١٩٤-١٩٥ .

[١٤] أحمد سوسة، أورشليم الكنعانية (بيت المقدس) فى أقدم عصورها، دار صادر، بيوت ، بدون سنة طبع، ص ٣٨.

فيه أن قدسية القدس وبالتالى أرض فلسطين ترجع فى إسنادها الدينى والتاريخى إلى أنهما أرض المسجد الأقصى الذى باركه الله عز وجل من حوله. والمسجد الأقصى هذا موجود قبل عهدى موسى وعيسى عليهما السلام♦.

وبناءاً عليه فإن بقعة المسجد الأقصى هى بقعة عبادة وتعبد لله عز وجل على مدى حقب التاريخ الإنسانى قديمه وحديثه، ماضيه وحاضره ومستقبله، فهى مازالت منطقة توحيد منذ عهد ملكى صادق الكنعانى اليبوسى وسيدنا إبراهيم عليه السلام، مروراً بعهود الأنبياء داوود وسليمان وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً السلام. فقدسية تلك البقعة متوغلة بجذورها إلى قدم التاريخ وقدم أممه، وهذا هو الأمر الثابت الذى منح تلك القدسية وتلك الطهارة والبركة لهذا المكان المقدس المبارك من الله سبحانه وتعالى القدير على كل شئ.

كما أصبحت القدس مركزاً هاماً من مراكز الحضارة العربية الإسلامية، وقد أقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسجداً فيها وبلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى، وسكن القدس بعد الفتح العمرى جماعة من صحابة الرسول (ص)، ونزلها آخرون للعبادة والتبرك وزيارة مقدساتها. كما برز فى القدس علماء أجلاء نسب بعضهم إليها من أمثال "المقدسى صاحب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم"[١٥].

المقدسات الإسلامية بالقدس الشريف:

ما من موضع فى مدينة بيت المقدس إلا ويعتبر مقدساً لدى المسلمين جميعاً على إختلاف مذاهبهم، ويروى لنا كثير من كتائب الفضائل وخاصة المنهاجى السيوطى كثيراً من الأحاديث النبوية التى تحث على زيارة المدينة لما لها من أفضال، مما يفسر

♦ وكعمق دينى وتاريخى لقدسية المسجد الأقصى، مايراه عدد من العلماء من أن الذى بنى المسجد الحرام هو سيدنا آدم عليه السلام، ويجوز أن يكون له ولد قد بنى المسجد الأقصى بعده . (القرطبى، أو عبد الله محمد أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، بيوت ، ١٩٦٤م ص١٣٨)، ومن الممكن أيضا أن تكون الملائكة قد بنيت المسجد الأقصى بعد بنائها البيت الحرام بإذن الله، ويستند هذا الأمر على مارواه على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: " أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت فى الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خل آدم عليه السلام، ثم إن آدم بنى مابنى، وطاف به، ثم الأنبياء، ثم استتم بناءه سيدنا إبراهيم عليه السلام . (القرطبى، نفس المصدر السابق، ص ص ١٣٨-١٣٩) ، راجع أيضا: محمد عثمان شبير، بيت المقدس وماحوله، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م ، ص ص٣٦-٣٧ ؛ وكذلك: جمال عبد الهادى محمد مسعود، الطريق الى بيت المقدس، ط٤، ج١ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة،١٤١٢ هـ/١٩٩٢م ، ص ص١٠-١١ .

[١٥] أحمد صدقى الدجانى، ملاحظات على تطوير حياة يهود فلسطين حتى الفتح العربى الاسلامى، بحث مقدم لمؤتمر بلاد الشام، عمان،١٩٨٠م .

لنا حرص الكثيرين على زيارتها فى مختلف العصور. وفى مقدمة المعالم الإسلامية والحضارية بالمدينة الحرم الشريف والذى يقع فى طرفى المدينة الشرقة، ويشتمل على عدة مساجد وأبنية دينية منها المسجد الأقصى ومسجد الصخرة.

وقد حرص كثير من المسلمين على زيارة الحرم الشريف فى مناسبات عديدة أهمها حضور صلاة التراويح التى كانت تقام بالمسجد الأقصى وبمغارة الصخرة وعند أبواب الحرم. وكان العديد من المسلمين يحضرون تلك الصلاة التى تقام طوال شهر رمضان، هذا بالإضافة إلى الإحتفال بليلة النصف من شعبان فضلاً عن الإحتفال بليلة الإسراء والمعراج فى ليلة السبع وعشرين من شهر رجب والتى تكاد تكون من أشهر أعياد القدس وأعظمها[١٦].

المسجد الأقصى:

يعد المسجد الأقصى بالقدس الشريف من أعظم الآثار الإسلامية، قديم فى تاريخه، وقد أرجع بعض علماء الدين إلى بناء الملائكة له بعد بناء البيت المعمور[١٧]. وكان مسمى الأقصى يطلق قديماً على منطقة الحرم كلها، وأصبح اليوم يطلق على المسجد نفسه، وكان قد شرع فى بناء هذا المسجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بين عامى ١٤ – ١٥ هـ .

كما أن تاريخ المسجد حافل بالذكريات الدينية وقد تعاقبت التجديدات والترميمات المستمرة على مدار العصور الإسلامية نظراً لمكانته الدينية فى نفوس المسلمين، وكان فى بداية الأمر قبلة المسلمين فى الصلاة، وهو أول قبلة فى الإسلام، ويرجح أن تكون العمارة الثانية لهذا المسجد العظيم كانت على يد الخليفة عبد الملك بن مروان فى عام ٧٢ – ٧٤ هـ / ٦٩١ – ٦٩٣ م ، ثم كمل البناء فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك فى عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م[١٨].

وجاء فى وصف الاصطخرى للمسجد الأقصى بقوله: "وبها مسجد ليس فى الإسلام مسجد أكبر منه، تسرج فيه الليلة خمسة آلاف قنديل وله سبعون خادماً[١٩]، ويدل هذا دلالة قاطعة على مايتحلى به المسجد الأقصى من مكانة عظيمة ومرموقة لدى المسلمين بوصفه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

وقد تعرضت عمارة المسجد الأقصى لزلزال كبير فى عام ١٣٠ هـ أثر على الجزء الشرقى والغربى للمسجد ثم أعيد تجديده فى خلافة أبى جعفر المنصور عام

---

[١٦] الحنبلى، الأنس الجليل، ج٢، ص٣ . ورشاد الامام، مدينة القدس فى العصر الوسيط، الدار التونسية، ص ص١٧٤-١٧٥ .

[١٧] عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م ، ص١٧٩ .

[١٨] ك .كريزويل، الآثار الاسلامية الأولى، ترجمة عبد الهادى عبلة، دمشق ١٩٩٣م ، ص٦٦ .

[١٩] الأصطخرى، المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١م، ص٤٣ .

١٤١ هـ ، ثم تهدم رواق القبلة بعد ذلك فيما عدا الجزء المحيط بالمحراب، فتم تجديده على يد حكام الأقاليم فى خلافة المهدى عام ١٦٣ هـ [٢٠]، ولايزال رواق القبلة أقدم جزء من هذا التاريخ والذى يحتوى على ستة وعشرون باباً، حيث يغطى المدخل مقابل المحراب صفائح من النحاس المذهب، وكان يعرف هذا الباب بباب النحاس الأعظم[٢١].

كما تعرض المسجد لحريق كبير فى عام ١٩٦٩ م أحرق منبر صلاح الدين الأيوبى. ومسجد عمر ومحراب زكريا ومقام الأربعين،وثلاثة أروقة ممتدة من الجنوب الشمالى مع عقودها وأعمدتها وزخارفها وسقفها الذى سقط، ولكن تم ترميم كثير من الأجزاء من قبل الحكومة الأردنية فى الفترة ما بين عامى ١٩٦٩ م وعام ١٩٨٢ م[٢٢]. تبلغ مساحة المسجد ١٤٠٠ متر مربع وتخطيطه على شكل مستطيل (٨٠ متر x ٥٥ متر) به سبعة أروقة، يتميز الرواق الأوسط منهم باتساعه وارتفاعه عن بقية الأروقة الأخرى[٢٣]. أما قبة المسجد من ألواح خشبية مصمطة تغطيها ألواح الرصاص.

يتقدم محراب المسجد (محراب عمر) وإلى جانبه المنبر من الخشب المطعم بالعاج والأبانوس من عهد نور الدين محمود زنكى عام ١٨٦٨ هـ ، والمسجد له أربع مآذن هى: مئذنة باب المغاربة (المنارة الفخرية)، ومئذنة باب السلسة (منارة الحكمة)، ومئذنة باب الغوانمة (منارة السرايا)، ومئذنة باب الأسباط (منارة إسرائيل). ويوجد بالزوايا الجنوبية الشرقية للمسجد جامع متصل به يعرف بجامع عمر، مساحته (٣٠ متر 8 x متر) به محراب صغير، كما يوجد جامع آخر فى الناحية الغربية يعرف بجامع النساء من العصر الفاطمى[٢٤].

وكانت تقام فى المسجد الأقصى الاحتفالات الدينية فى المناسبات والأعياد والمواسم. كما كانت تقام الاحتفالات عندما يزور أحد سلاطين بيت المقدس حيث يصلى فيه ثم يجلس فى محراب المسجد لسماع شكاوى الناس وحل قضاياهم، بالإضافة إلى الاحتفال بالخطباء والقضاة الجدد، حيث تتم قراءة تواقيع التولية فى المسجد الأقصى عادةً عقب صلاة الجمعة[٢٥].

وقد ذكر فى الموسوعة الفلسطينية عن أهمية المسجد الأقصى ومكانته ما يلى: "للمسجد الأقصى مكانة عظيمة رفيعة فى الإسلام بوصفه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسجد الإسراء والمعراج. وكان له أثر عظيم على مدى التاريخ فى الحياة

---

[٢٠] المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفى الأقاليم، ص١٦٩

[٢١] كمال الدين سامح، العمارة فى صدر الاسلام، ص١١٠ .

[٢٢] رائف يوسف نجم وآخرون ، كنوز القدس، ط١ ، ١٩٨٣م ص ص ٧٦-٨٠ .

[٢٣] رشاد الإمام، مدينة القدس فى العصر الوسيط، الدار التونسية، ص٢٩٤ ومابعدها .

[٢٤] الحنبلى، الأنس الجليل، ج٢ ، ص٣٧٩.

[٢٥] الحنبلى، المصدر السابق، ص ص٤٤٠-٤٤٤.

الدينية والإجتماعية والثقافية والسياسية فى فلسطين. وقد حفل عبر القرون بالنشاط التدريسى فكان من أكبر مراكز التعليم الدينى فى الإسلام، ومركز الاحتفالات الدينية الكبرى ومقر الحياة السياسة، تعقد فيه الاجتماعات وتتلى فيه المراسيم السلطانية وبراءات تعيين كبار الموظفين"[٢٦].

وقال عنه المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم: "وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقى نحو القبلة أساسه من عمل داوود، طول الحجر عشرة أذرع وأقل، منقوشة، موجهة، مؤلفة صلبة، وكان أحسن من جامع دمشق."

قبة الصخرة:

وهى من أعجب المبانى وأتقنها وأغربها شكلاً، وقد توفر حظها من المحاسن، ويصعد إليها بدرج رخام، ولها أربعة أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة، وكذلك داخلها وفى ظاهرها وباطنها من أنواع الذواقة ورائق الصنعة مما يعجز الوصف، وأكثر من ذلك مغشى بالذهب، فهى تتلألأ نوراً، وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها فى محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها[٢٧].

وتعد قبة الصخرة من أروع الأعمال المعمارية التى شيدت بيت المقدس على الصخرة المقدسة التى عرج من عندها الرسول (ص) إلى السماء، وكيف لاتكون كذلك وقد شرفها الله سبحانه وتعالى بقدمى الرسول (ص). وحينما قدم عمر بن الخطاب لاستلام المدينة، وجد هذه الصخرة مغطاة بالدمن، فأمر برفعها وبعد أن انهمر المطر عليها غزيراً ثلاث مرات أقام الصلاة فيها[٢٨].

وقد وصف كريزويل بناء هذه القبة بأنها بناء دائرى وتتألف من قبة خشبية قطرها ٢٠,٤٤ متراً، قائمة فوق رقبة عالية بها ١٦ نافذة، ترتكز على أربع دعائم واثنى عشر عموداً موضوعة فى دائرة تكفى بالإحاطة بالصخرة، ومرتبة بحيث تنتصب كل ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين والدعائم قائمة وسط مثمن كبير يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه حوالى ٢٠,٦٠ متراً. وقد استفاد كريزويل من هذا الوصف لتأكيد ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن تصميمها جاء كالمشهد ليلائم الطواف حول الصخرة المقدسة[٢٩].

ويذكر الحنبلى أن قبة الصخرة مرتفعة على اثنى عشر عموداً من الرخام وأربع سوار من الحجر[٣٠]. وكانت أرضها وحيطانها مبنية بالرخام باطناً وظاهراً،ومزينة بالفصوص الملونة فى العلو من الباطن والظاهر.

---

[٢٦] الموسوعة الفلسطينية، المجلد٤ ، بيروت ١٩٩٠م ، ص٢٠٤.
[٢٧] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ص٥٨ .
[٢٨] مصطفى عبد الله شيحة، بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافى .
[٢٩] كريزويل، الآثار الاسلامية الأولى، ص ص٣٠٤-٣٠٥ .
[٣٠] الحنبلى، الأنس الجليل، ج٢ ، ص٣٧١ .

وعنى بهذه الصخرة المقدسة الخليفة عبد الملك بن مروان، تكريماً لذكرى هذه الصخرة المقدسة التى عرج من عندها الرسول (ص) إلى السماء [٣١]،وفى ذلك يذكر المؤرخ المقدسى أن سبب بناء هذه القبة العظيمة على الصخرة ما لاحظه الخليفة عبد الملك من روعة بناء الكنائس وخوفه من أن يفتن بها المسلمون، فقرر بناء هذه القبة الفخمة أعلى الصخرة ليضارع بها العمائرالمسيحية، ليس فى بيت المقدس فحسب وإنما فى كل بلاد الشام فى ذلك الوقت[٣٢].

وقد شرع فى البناء وجمع لها أجود الصناع والفنانين من بلاد العالم الإسلامى، ويقال أنه رصد لبنائها خراج مصر لسبع سنين[٣٣].

وتتميز العمارة الاسلامية بوحدات وعناصر معمارية خاصة بها كالمآذن والقباب والأفاريز وغيرها. وقد استخدم فى زخرفة العمائر سواء من الداخل أو الخارج أساليب كثيرة منها تشكيل الجدران نفسها على هيئة حنيات أو قبوات أو عقود أو أضلاع أو الحفر البارز أو الغائر، كما استخدمت وسائل مختلفة منها ألواح الرخام والمرمر [٣٤].

والواقع أن زخارف قبة الصخرة قد جاءت على جانب بديع من العمل المتقن بأسلوب زخارف الفسيفساء المعروف فى الفن الإسلامى ، يشهد بذلك مابقى حتى الآن وما ذكره عنه الرحالة العرب فى العصور الوسطى[٣٥].

وقوام زخارف قبة الصخرة الفروع النباتية والزخارف الهندسية، ورسوم الأهلة والنجوم، وكان الجانب الخارجى من جدران البناء مغطى أيضا بالفسيفساء التى استبدلت بها لوحات من القاشانى على يد السلطان سليمان القانونى. وتعتبر زخارف قبة الصخرة أقدم نموذج للزخارف الأموية الأولى؛ وفي داخل القبة كتابات كوفية طولها ٢٤٠ مترا كتبت بماء الذهب على أرضية زرقاء[٣٦].

ويؤيد هذا الرأى الأستاذ الدباغ فيقول: "قبة الصخرة من أهم وأبدع آثار الأمويين، كما أنها أقدم أثر إسلامى فى تاريخ العمارة الإسلامية، وتعتبر هذه القبة عند معظم مؤرخى الفنون أعظم العمارات الإسلامية فى الجمال والفخامة وإبداع الزخرفة،

---

[٣١] اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، طبعة النجف ١٣٨٥ هـ ، ص٩٢ .
[٣٢] المقدسى، أحسن التقاسيم، ص١٩٥ .
[٣٣] ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٨٨٥م ، ص١٠٠ .
[٣٤] أحمد أمين، المؤسسات الإسلامية فى منطقة آسيا الوسطى ، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٢م ، ص٢٦١ .
[٣٥] زكى محمد زكى، فنون الاسلام، القاهرة ١٩٤٨م ، ص ص٣٦-٣٩ . وحسن الباشا، التصوير الاسلامى فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ص٢٨-٣٥ .
[٣٦] أحمد أمين، المرجع السابق، ص٢٧٦ .

كما تمتاز قمتها ببساطة التصميم وتنسيق الأجزاء، تم بنائها سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م[٣٧]. ويضيف كريزويل "لقبة الصخرة أهمية ممتازة فى تاريخ فن العمارة الإسلامية. فقد بهرت ببنائها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين"[٣٨].

وقال ابن بطوطة عن قبة مسجد الصخرة:هى من أعجب المبانى وأثمنها وأغربها شكلاً، قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف، وهى قائمة على نشذ فى وسط المسجد، يصعد إليها فى رخام،ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروض بالرخام أيضاً محكم الصنعة وكذلك داخلها،وهى صماء ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة فى بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضاً،ينزل إليها على درج،وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها،أحدهما وهو الذى يلى الصخرة من حديد بديع الصنعة، والثانى من خشب،وفى القبة ورقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها ورقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهما(٣٩)[٣٩].

إن فسيفساء قبة الصخرة تتلألأ بفصوص صغيرة ومكعبات دقيقة من الزجاج والحجر وصفائح من الصدف، ألصقت بجانب بعضها البعض على طبقة من الجص حسب الوحدات الزخرفية والأشكال الهندسية التى خططت لها، فضلاً عن فصوص مذهبة بألوان مختلفة، يغلب عليها اللون الأخضر والأزرق والأحمر والفضى والرمادى والبنفسجى والبنى والأسود. وقد حملت هذه الزخارف بدايات الفن الإسلامى فى الطراز الأموى المبكر، لاسيما فى الزخرفة بالعناصر النباتية والهندسية وأشرطة الكتابات، تمشياً مع خصائص الفن الاسلامى الجديدة فى البعد عن التمثيل الآدمى وأشكال الحيوانات والطيور خاصة فى المنشأت الدينية الإسلامية.

وقد استمرت أعمال العناية بقبة الصخرة وتجديدها بعد بنائها على امتداد العصور الإسلامية لمكانتها الدينية الكبيرة فى نفوس المسلمين،وقد أمدنا كثير من المؤرخين والرحالة بعمليات التجديدات التى تمت فى القبة،فضلاً عن وصفهم الدقيق لها وعن وسيلة تطييبها بالمسك والروائح الطيبة،وكذلك عن الإعتداءات التى كانت تتم عليها.

ومن التجديدات التى تمت فى قبة الصخرة إعادة بناء القبة فى عام ٤١٣ هـ بعد أن سقطت فى عام ٤٠٧ هـ [٤٠]، ثم ترميم سقف القبة فى عام ٨٥١ هـ فى العصر المملوكى، واستمر تجديدها فى العصر العثمانى[٤١].

---

[٣٧] مصطفى مراد الدباغ، بلاد فلسطين فى بيت المقدس، ج١، دار الطليعة، بيروت١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص٥٠ .

[٣٨] عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، القدس١٩٥٥ ،ص ص٧٤-٧٥ .

[٣٩] رحلة ابن بطوطة، ص٥٨ .

[٤٠] كمال الدين سامح، العمارة فى صدر الاسلام، ص٢٦ .

[٤١] عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م ، ص ص٢٠٠-٢٠٦ .

قبة السلسلة:

تقع قبة السلسلة إلى الشرق من قبة الصخرة، وهى من الآثار الدينية الهامة فى بيت المقدس، وتعرف بباب داوود ومحكمة داوود[٤٢]. وبها صفان من الأعمدة، ويقع الصفان فى دائرتين، أحد عشر فى الدائرة الداخلية وهى صورة مصغرة لقبة الصخرة، بنيت معها فى نفس العهد، ويوجد بداخلها محراب منقوش عليه قوله تعالى "يا داوود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالعدل ولاتتبع الهدى فيضلك عن سبيل الله"[٤٣]. وتعتبر قبة السلسلة من أقدم الآثار التى راعاها المسلمون، وهذه السلسلة تنسب إلى سليمان بن داوود[٤٤].

ويرجع تاريخ هذه القبة إلى عصر عبد الملك بن مروان فى عام ٧٢ هـ / ٦٩١ م ، حين بنى قبة الصخرة، واعتبرت بمثابة مثال يحتذى به عند بناء قبة الصخرة. وذكر بعد المؤرخون أنها كانت بيتاً لمال المسلمين "قبة الخزنة"، وقد جددها السلطان الملك الظاهر بيبرس عام ٦٦١ هـ ، وكذلك السلطان العثمانى سليمان قانونى عام ٩٦٩ هـ ، وتجاور هذه القبة قبة المعراج، جددها الأمير عز الدين متولى القدسى فى عام ٥٩٧ هـ ، كتذكار لعروج الرسول (ص) إلى السماء[٤٥].

الجامع العمرى (جامع عمر بن الخطاب رضى الله عنه):

يتكون هذا الجامع من بيت الصلاة يتقدمه ممر مكشوف، وله محراب يتكون من حنية فى جداره الجنوبى، وبه مئذنة جميلة يوحى طراز بنائها بأنها أقدم أجزاء الجامع، وتتكون هذه المئذنة من بناء مربع الشكل، وتشبه طراز المآذن المملوكية فى الشام[٤٦].

ويتصف جامع عمر بن الخطاب بالبساطة التى تغلب على بساطة المسلمين فى العهد الإسلامى الأول، خاصة فى فترة صدر الإسلام. وعلى الرغم من بساطة هذا المسجد إلا أنه يعد واسعاً، يتسع لثلاثة آلاف من المصلين، وتجدر الإشارة إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب أمر بإظهار الصخرة وتنظيف مكانها الذى ظل مهجوراً طيلة العهد الرومانى[٤٧].

وعن بناء المسجد وسعته وشكله ومظهره والمواد الإنشائية التى استخدمت فى بنائه فى بداية الأمر روى شاهد عيان فى القرن الأول للهجرة ما كان عليه مسجد الخليفة عمر بن الخطاب وهذا الشاهد هو المطران أركوليفوس الذى زار القدس فى

---

[٤٢] عارف العارف، المرجع السابق، ص ٢٠١ .

[٤٣] خالد الغازى، سيرة مدينة القدس، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ١٩٩٨ م ، ص١٣٨ .

[٤٤] وثيقة القدس، منظمة المؤتمر الاسلامى، ص ٤٠ .

[٤٥] عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص ص٢٠١-٢٠٣ .

[٤٦] يحيى الوزيرى، التطور العمرانى والتراث المعمارى لمدينة القدس الشريف، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٤م ، ص٧٧.

[٤٧] حسن ظاظا، القدس، ص٤٠ .

خلافة معاوية بن أبى سفيان، وذلك حوالى عام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م . وذكر هذا الشاهد الذى ساح فى القدس أن المسجد مبنى من ألواح الخشب ومن جذوع الأخبار. وبناؤه فى حد ذاته بسيط جداً. وهو فى شكله ومساحته جاء على شكل مربع يتسع لثلاثة آلاف من المصلين[٤٨].

وقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب نصب عينيه إقامة مسجده هذا، وهو أول مسجد بناه المسلمون فى بلاد الشام، وهو المعروف اليوم بالمسجد العمرى، كائن بالقرب من كنيسة القيامة بالقدس، وهذا المسجد من المساجد العادية ولاتميزه أى صفة معمارية. وجامع عمر اليوم بنا الملك
الأفضل نور الدين أبو الحسن على يد صلاح الدين الأيوبى أثناء سلطنته على دمشق، وأقيم هذا المسجد فى الجهة الجنوبية بالقرب من كنيسة القيامة ولايفصل بينهما سوى شارع صغير[٤٩].

يقول الدكتور كامل العسلى فى مجلة القدس "مسجد الملك الأفضل المعروف بالمسجد العمرى، وهو من المساجد القديمة، عمره الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م . ورممه السلطان المجيد العثمانى[٥٠]. وكان هذا المسجد موجوداً فى هذا المكان قبل العصر الأيوبى، والأرجح أنه بنى فى الفترة الإسلامية الأولى فى المكان الذى صلى فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو من المساجد العمرية القديمة وقد بناه الخليفة عمر بن الخطاب.

أسوار وأبواب مدينة القدس:

أول ما يواجه الزائر عند قدومه إلى مدينة القدس هى الأسوار فهى من معالم المدينة البارزة. ويعود بناء هذه الأسوار إلى عدة فترات من تاريخ المدينة المقدسة [٥١]، وقد أعاد صلاح الدين بنائها بعد هدمها سنة ١٣٥هـ وعمل خلافائه على تحصينها بعد تحريرها من الصليبيين، وكذلك الفترة العثمانية حيث أمر سليمان قانونى بإعادة بناء أسوار وأبواب المدينة،وتم ذلك كما تذكر النقوش الموجودة على الأبواب سنة١٥٤٠م[٥٢].

---

[٤٨] الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ص٩٠ .

[٤٩] يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس، سلسلة المدن الفلسطينية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ص٦٩ .

[٥٠] كامل العسلى، مقال بمجلة القدس الشريف، زيارة إلى التراث فى بيت المقدس، الحلقة الرابعة، ص٧١ ومابعدها .

[٥١] عارف العارف، قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ص ص٦٧-٧٨-٢٦٥ . وياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٥ ، ص١٨٥ .

[52] Burgvoyne . M . H . Mamluk Jerusalem . 1987, London,p.32.

وأسوار القدس قديمة منذ عهد اليبوسيون والكنعانيون وقد رممت وجددت مرات عديدة، ويبلغ طول الأسوار الحالية ٤٢٠٠ متراً ويشكل ٦٠٠ متر منها الجدار الشرقى والجنوبى للحرم الشريف،ويبلغ إرتفاع السور فى بعض الأماكن ٣٠ متراً وتزيد سماكته فى معظم الحالات على ٢ متر حتى يمكن للحرس السير من أعلاه بسهولة ويسر[٥٣].

يلحق بهذه الأسوار العديد من الأبواب التى تعد من معالم القدس وحضارتها، وهناك بقايا لبعض أبواب المدينة بأكملها عام ١٣٥ هـ ، أحد بقايا هذه الأبواب يقع أسفل باب العمود الحالى، حيث تم الكشف عن المدخل الأيسر من الباب الرئيسى الذى كان يتكون من ثلاث أبواب أكبرها البوابة الوسطى. كما تم الكشف عن جزء من المدخل الشرقى فى دير راهبات صهيون، وجزء من عقد المدخل الأوسط خارج الدير المذكور عن طريق الدير الواصل بين باب الأسباط وطريق الآلام[٥٤].

أما عن أبواب مدينة القدس فهناك دليل أثرى يتعلق بها وهو خريطة مأدبا،التى تم اكتشافها عام ١٨٩٦ م. تعود هذه الخريطة إلى القرن السادس الميلادى، وتظهر القدس فى هذه الخريطة محاطة بسور مرتفع عليه أربعة أبواب، الباب الشمالى ويمثل باب العمود،حتى يمكن رؤية ساحة فى وسطها وعمود، والباب الشرقى ويمثل باب الأسباط،والباب الغربى ويمثل باب داوود أو باب الخليل اليوم، وفى الجهة الجنوبية باباً آخر يحتمل أنه يمثل باب صهيون[٥٥].

وهناك العديد من الأبواب التى تظهر مغلقة،خاصة على الجهة الشرقية من سور الحرم كباب الجنائز وباب الرحمة،وعلى الجهة الجنوبية كباب النبيل،وبعضها على أساسات سابقة كباب العمود أو باب دمشق،والأبواب الحالية كما تظهر على سور المدينة وعددها سبعة وهى:باب الساهرة،باب العمود،باب الأسباط،الباب الحديد،باب صهيون،باب المغاربة،وجميعها قد أعيد بناؤها فى عهد السلطان سليمان القانونى عام ١٥٤٠ م.

وفى الجهة الجنوبية لمدينة القدس يقع بابان: الباب الأول باب حارة المغاربة ويسمى باب سلوان وباب الدباغة، وهو يختلف عن بقية أبواب سور القدس حيث أنه متوسط الدخامة ويتكون من مدخل مستطيل الشكل عمقه بعمق السور[٥٦]. أما الباب الثانى فهو باب صهيون، المشهور زمن الحنبلى بباب حارة اليهود [٥٧]، ويتكون من مدخل كبير وعقد حجرى كبير مدبب وفوقه برج حجرى صغير محمول على كابولين

---

[٥٣] يحيى الوزيرى، التطور العرانى والتراث المعمارى لمدينة القدس الشريف، ص ص٦٤-٦٥ .

[٥٤] الحنبلى ، الأنس الجليل ، ص٣٢٩ .

[55] Burgvoyne .p.p. 36-39.

[٥٦] يحيى الوزيرى، ، ص ٧٢ .

[٥٧] الحنبلى ، الأنس الجليل، ج٢ ، ص٤٠٦ .

حجريين، ويوجد بينهما نقش كتابى حجرى تذكارى يبين اسم السلطان ولقبه وسنة البناء، ويغطى فتحة الباب مصراعان من الخشب المصفع بالنحاس[٥٨].

وفى الجهة الغربية فكان للمدينة ثلاثة أبواب هى باب سر صغير قرب دار الأرمن[٥٩]. لكنه مسدود فى عصرنا الحاضر[٦٠]. وباب المحراب،وكان يطلق عليه فى زمن الحنبلى باب الخليل[٦١]. وقد ذكره المقدسى باسم محراب داوود ويسمى أيضاً يافا، ويتكون الباب من مدخل وعقد حجرى كبير مدبب وبينهم نقش حجرى كتابى تذكارى باسم السلطان ولقبه،ويغطى الباب مصراعان من الخشب المصفع بالنحاس[٦٢]. أما الباب الثالث فهو باب الرحمة [٦٣]، وهو مغلق الآن[٦٤].

كما كان يوجد أربعة أبواب فى الجهة الشمالية وهى:باب دير السرب. وغير موجود الآن والباب الثانى وهو باب العمود، ويسمى باب دمشق وباب النصر أيضاً وهو باب رئيسى مشهور من أبواب القدس، كما أنه هو المنفذ الرئيسى لها، ويتكون الباب من مدخل وعقد فوقه برج حجرى صغير محمول على كابولين حجريين، ويوجد نقش تذكارى بين العقد والمدخل يبين اسم السلطان وألقابه ويغطى فتحة الباب مصراعان من الخشب المصفع بالنحاس،ويؤدى المدخل إلى دركاه يغطيها قبو مروحى وهى تؤدى بدورها إلى ممر ينعطف إلى جهة اليسار ثم إلى جهة اليمين،ويشير طراز بنائه إلى أثر العمارة العسكرية فى تصميمه[٦٥].

وباب الساهرة فقد ذكره المقدسى باسم باب جب ارميا،وسمى أيضاً باب هيرودس وباب مادلين، ويتكون الباب من مدخل وعقد مدبب وبينهما نقش حجرى كتابى تذكارى يبين اسم السلطان وألقابه،

ويغطى فتحة الباب مصراعان من الخشب المصفع بالنحاس، ويؤدى المدخل إلى دركاه فيها غرفة صغيرة يغطيها قبو مروحى وهى تؤدى بدورها إلى ممر ينعطف إلى جهة اليسار[٦٦].

---

[٥٨] يحيى الوزيرى، ص٧١ .
[٥٩] الحنبلى، الأنس الجليل، ص٤٠٦ .
[٦٠] لوسترانج، فلسطين تحت حكم المسلمين، ص٢١٥ .
[٦١] الحنبلى، المصدر السابق، ص ص٤٠٦-٤٠٧ .
[٦٢] يحيى الوزيرى، المرجع السابق، ص٦٩.
[٦٣] الحنبلى، المصدر السابق، ص٤٠٧ .
[٦٤] لوسترانج، المصدر السابق، ص٢١٥ .
[٦٥] يحيى الوزيرى، المرجع السابق، ص٦٦ .
[٦٦] يحيى الوزيرى، المرجع السابق، ص٦٦ .

أما من الجهة الشرقية فقد كان للمدينة باب واحد هو باب الأسباط[٦٧]. ويعرف أيضاً بباب ستى مريم وباب القديس استيفانوس، وهو باب قديم العهد وقد اصلح ورمم مرات عديدة وكان آخرها فى عهد السلطان سليمان القانونى سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م ، ويزيد على الأبواب السابقة بأنه يحمل اسم المشرف على البناء الحاج حسن أغا وأيضاً مزود ببرج حجرى على أربعة كوابيل لصب الزيت المغلى على الأعداء، وفتحات لرمى السهام[٦٨].

ويضيف الحنبلى بعد ذكره لأبواب مدينة القدس أن للمدينة بابين آخرين كانا مسدودين فى عهده.

ومن أهم المعالم الحضارية فى مدينة القدس المدارس التى تشكل جزءاً كبيراً من معالم المدينة، وكانت المدرسة فى بداية الفترة الإسلامية هى المسجد، ولكن بدأت تظهر مختلفة فى أواخر القرن السادس الميلادى[٦٩]. ويوجد فى مدينة القدس مايزيد عن أربعين مدرسة معظمها يعود تاريخه إلى العهد المملوكى، حيث عمل السلاطين والأمراء على بناء المدارس فى منطقة الحرم القدسى، وكذلك من الجهتين الشمالية والغربية منه، وكان لانتشارها دوراً كبيراً فى إعطاء المدينة طابعها العلمى الإسلامي[٧٠].

المدرسة الصلاحية:

وهى من المدارس التاريخية الهامة بمدينة القدس، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى صلاح الدين الأيوبى الذى أنشأها عام ٥٨٣ هـ بعد تحرير بيت المقدس، وهى من المدارس الإسلامية التى شاعت شهرتها فى القدس فى العصر الأيوبى ومن شيوخها بهاء الدين بن شداد المتوفى عام ٦٣٢ هـ ، وهو قاضى القضاه وشيخ الإسلام فى زمنه، ومجدى الدين بن جهل المتوفى ٥٩٦ هـ ، وفخر الدين بن عساكر المتوفى ٦٢٠ هـ وغيرهم. ومن أبرزهم المؤرخ القنقشندى. كذلك أنشأ الملك الأفضل نور الدين أبى الحسن على ابن صلاح الدين الأيوبى مدرسة أوقفها على فقهاء المالكية، وتعلم بها عدد كبير من أهل المغرب، ومن المدارس الأيبوية الأخرى، المدرسة الميمونية نسبة إلى الأمير فارس الدين أبى سعيد ميمون ابن عبد الله القصرى فى عام ٥٩٣ هـ .

---

[٦٧] الحنبلى ، المصدر السابق، ص٤٠٧ .

[٦٨] يحيى الوزيرى، المرجع السابق، ص ص٦٨-٦٩ .

[٦٩] كامل العسلى،معاهد العلم فى بيت المقدس، عمان ١٩٨١م ، ص ص١٣ وما بعدها .

[٧٠] يوسف الغوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس فى العصر المملوكى، عمان ١٩٨٢م ، ص ص١٤٧ ومابعدها .

المدرسية الأشرفية:

وتعتبر المدرسة الأشرفية من أبرز المدارس التى وصفها مجير الدين الحنبلى وقال بأنها الجوهرة الثالثة فى الحرم الشريف بعد قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك[٧١]. ويعود تاريخ هذه المدرسة إلى السلطان قايتباى (٨٧٢ – ٩٠١ هـ / ١٤٦٨ – ١٤٩٦ م)، وتم الانتهاء من بنائها فى سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م وفقاً لما جاء فى الشريط الكتابى الموجود على مدخلها الرئيسى. تقع المدرسة الأشرفية فى الرواق الغربى فى الحرم الشريف بالقرب من باب السلسلة، حيث يبهر مدخلها الزائرين بعناصرها المعمارية المتميزة[٧٢].

وقد امتازت المدرسة الأشرفية بغناها بالعناصر المعمارية والزخرفية، ممثلة بذلك ما امتازت بها العمارة المملوكية من عراقة فنية خلال تلك الفترة [٧٣]. واشتملت هذه العناصر على صفوف من الحجارة الملونة باللونين الأحمر والأبيض بالتناوب، والمقرنصات الركنية المزخرفة والصنج المعشقة واللوحات الرخامية المزخرفة بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية.

هذا بالإضافى إلى العديد من المدارس شمال وغرب الحرم الشريف حيث تتوزع المدارس الإسلامية المنجقية والخاتونية والأشرفية والتنكرية، بالإضافة إلى عشرات أخرى داخل المدينة أضفت على بيت المقدس جمالاً وروعة، إضافة إلى الرونق الهندسى الذى تتحلى به المدارس وخاصة المدرسة الأشرفية. كما ضمت القدس عدت خوانق وزوايا لكبار الصوفية يدرس فيها العلوم الدينية المختلفة.

جبل الزيتون:

وهو من أجمل معالم مدينة القدس، وهو المواجه لأسوار الحرم القدسى من الجهة الشرقية، يفصله عنه وادٍ عميقٍ سريع الانحدار هو "وادى قدرون"وامتدادهما من الجنوب إلى الشمال،ويعتبر من أهم الجبال من أهم الجبال التاريخية المحيطة بالقدس[٧٤]، وتوجد أسفل هذا الجبل حديقة المعصرة المليئة بالأشجار الخضراء والزهور البديعة. وسمى عند العرب "جبل الطور" واشتهر عند اليهود باسم "جبل المسح" أى جبل التتويج، لأنهم كانوا يستخلصون من زيتونه الزيت المقدسى المستخدم فى تتويج ملوكهم[٧٥].

---

[٧١] الحنبلى، الأنس الجليل، ج٢ ، ص٣٢٩ .

[٧٢] كامل العسلى، المرجع السابق، ص ١٥٧ ومابعدها .

[٧٣] لمزيد من التفاصيل أنظر: معاهد العلم فى بيت المقدس، القدس المملوكية، بلادنا فلسطين، الأجزاء الخاصة بالقدس.

[٧٤] حسن ظاظا، القدس مدينة الله أم مدينة داود، دار القلم، بيروت ١٩٨٧م ، ص ص ٥٢-٥٣ .

[٧٥] سيد على راشد، القدس عربية اسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م ، ص٣٥ .

ويذكر الدكتور على السيد فى كتابه القدس فى العصر المملوكى نقلاً عن الأنس الجليل الجزء الثانى، بأن هذا الجبل هو جبل عظيم مشرف على المسجد الأقصى، وأن به بعض قبور الصحابة، فضلاً عن أن السيدة صفية زوجة الرسول (ص) قدمت إليه، وقامت على طرف الجبل وقالت:
(هاهنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة وإلى النار)، وهذا الجبل هو الذى صعد منه نبى الله عيسى عليه السلام إلى السماء حين رفعه الله إليه، كذلك قبر السيدة مريم عليها السلام[٧٦].

وكانت توجد فى نفس المنطقة قبة قبر سيدنا موسى عليه السلام، وهى عبارة عن بناء وداخله مسجد وعلى يمينه قبة معقودة بالحجارة، وفيها ضريح يوضع عليه أيام موسم زيارته على سترٍ من حرير أسود عليه طراز أحمر مزركش داير على جميع أطرافه، والذى بنى هذه القبة هو السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨هـ، وأهل بيت المقدس يقصدون زيارته فى كل سنة عقب فصل الشتاء ويقيمون عنده أياماً[٧٧]. وإلى جوارها أو بالقرب منها كانت توجد بئر منسوبة إلى سيدنا أيوب عليه السلام يقصدها الكثير من أهل بيت المقدس للزيارة والتبرك[٧٨].

إن الآثار الإسلامية بالقدس تعد من مفاخر العمارة الإسلامية، بما شملته من وظائف وروعة فى الأساليب المعمارية والفنية، وتأنق فى العمل الزخرفى، قد شملت عناصر الأبنية السابقة فى تخطيطها كل ما هو معروف فى الأصول المعمارية من تخطيطٍ جامع والمسجد القائم على الصحن والأروقة منذ أن عرفت عمارة المساجد فى عهد الرسول(ص)بعناصرها المتنوعة والتى شملت المحاريب والمنابر والعقود بتنوعها،والأروقة،والبلاطات، والظلات والأعمدة والدعائم والسقوف الجميلة، والمآذن، والواجهات المزينة بأشرطة الكتابات والزخارف والتجاويف والحنايا فى الشرفات، وغير ذلك من العناصر المعمارية والفنية المبدعة فى طراز العمارة الإسلامية.

الواقع أن مدينة القدس زاخرة بالمعالم الحضارية التى ميزت المدينة عن غيرها من مدن العالم، والتى بنيت فيها على مر العصور وأن كثير من هذه المعالم لاتزال منتشرة فى أنحاء القدس المختلفة، لكنها بحاجة إلى العناية بالترميم والصيانة، لأن هذه

---

[٧٦] على السيد على، القدس فى العصر المملوكى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١القاهرة١٩٨٦م ، ص٢٥٥ .

[٧٧] عبد الغنى النابلسى، الحضرة الأنيسية فى الرحلة القدسية، طبع جريدة الإخلاص بمصر، ١٩٠٢م ، ص ص٤٨-٤٩-٥٠ .

[٧٨] على السيد على، المرجع السابق، ص٢٥٦ ، نقلا عن المنهاجى السيوطى، أتحاف الأخصا بالمسجد الأقصى .

المدينة رابع مدن الجنة كما ذكرت فى حديث الرسول الكريم (ص)، لذا فإن التفريط بهذه المدينة هو تفريط بأقدس مقدسات المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية :

(١) الحنبلى،مجيرلدين العليمى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، ج، ٢ عمان ١٩٧٣م .
(٢)إبن الأثير،" عز الدين أبو الحسن"كتاب الكامل فى التاريخ، ج١١ ، بيروت ١٩٦٩.
(٣) إبن بطوطة،" شمس الدين أبوعبدالله محمد بن إبراهيم " رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
(٤)إبن الفقيه،"أحمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم"،مختصر كتاب البلدان، ليدن،١٨٨٥م .
(٥) الأصطخرى، المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١م .
(٦) العمرى، " ن فضل الله "، سالك الأبصار، ج٣ ،القاهرة ١٩٢٤م .
(٧) القرطبى" أبو عبد الله محمد أحمد " الجامع لأحطام القرآن، ج٤، بيروت،١٩٦٤م .
(٨) القلقشندى، " أبو العباس أحمد بن على "صبح الأعشى فى صناعة الانشا، ج٤ ، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣/
(٩) القزوينى " زكريا بن محمد بن محمود " آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠ .
(١٠) اليعقوبى، أحمدابن أبى واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبى،طبعة النجف،١٣٨٥هـ .
(١١)المقدسى،"شمس الدين البشارى"أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٧٧م .
(١٢) ياقوت الحموى،" شهاب الدين أبو عبد الله " م٥ طهران،١٩٦٥م .
(١٣) ك.كريزويل، الآثار الاسلامية الأولى، ترجمة عبد الهادى عبلة، دمشق١٩٩٣م .
(١٤) أحمد سوسة، أورشليم الكنعانية (بيت المقدس) فى أقدم عصورها، دار صادر، بيوت ، بدون .
(١٥) أحمد صدقى الدجانى، ملاحظات على تطوير حياة يهود فلسطين حتى الفتح العربى الاسلامى، بحث مقدم لمؤتمر بلاد الشام، عمان،١٩٨٠م .
(١٦) الموسوعة الفلسطينية، المجلد٤ ، بيروت ١٩٩٠م .
(١٧) المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة، جامعة الدول العربية، ١٩٨٩م .
(١٨) حسن الباشا، التصوير الاسلامى فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٩٣م .
(١٩) حسن ظاظا، القدس مدينة الله أم مدينة داود، دار القلم، بيروت ١٩٨٧م .
(٢٠) جعفر الخليلى، موسوعة العتبات المقدسة، ج١ من قسم القدس، ط ١ ، دار التعارف، بغداد ١٩٧٠م ،

(٢١) جمال عبد الهادى محمد مسعود، الطريق إلى بيت المقدس، ط٤، ج١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
(٢٢)خالد الغازى،سيرة مدينة القدس،دار الهدى للنشر والتوزيع،ط١،القاهرة ١٩٩٨م .
(٢٣) رشاد الامام، مدينة القدس فى العصر الوسيط، الدار التونسية، بدون .
(٢٤) رائف يوسف نجم وآخرون ، كنوز القدس، ط١ ، ١٩٨٣م .
(٢٥) زكى محمد زكى، فنون الاسلام، القاهرة ١٩٤٨م .
(٢٦) سيد فرج راشد، القدس، عربية اسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٢، القاهرة ٢٠٠٠م .
(٢٧) سيد على راشد، القدس عربية اسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م .
(٢٨) كامل جميل العسلى، مجلة القدس الشريف، مقال بعنوان: زيارة الى التراث فى بيت المقدس، الحلقة الرابعة، العدد الأول، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
(٢٩) كامل جميل العسلى،معاهد العلم فى بيت المقدس، عمان ١٩٨١م .
(٣٠) كمال الدين سامح، العمارة فى صدر الإسلام ، القاهرة، ١٩٨٢م
(٣١) عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، القدس١٩٥٥.
(٣٢) عبد الحليم محمود، بيت المقدس فى الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الخاص، رجب ١٣٨٩هـ/ سبتمبر ١٩٦٩م .
(٣٣) عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م .
(٣٤) عبد الغنى النابلسى، الحضرة الأنيسية فى الرحلة القدسية، طبع جريدة الإخلاص بمصر، ١٩٠٢م .
(٣٥) على السيد على، القدس فى العصر المملوكى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١القاهرة١٩٨٦م .
(٣٦) محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، دراسة تاريخية فى رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين، مركز الإعلام العربى، ط ١ ، القاهرة، ٢٠٠٤ م .
(٣٧) محمد صلاح سالم، القدس، الحق والتاريخ والمستقبل، عين للدراسات والبحوث، ط ١، ٢٠٠٣م .
(٣٨) محمد عثمان شبير، بيت المقدس وما حوله، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٧هـ .
(٣٩) معاهد العلم فى بيت المقدس، القدس المملوكية، بلادنا فلسطين، الأجزاء الخاصة ببيت المقدس .
(٤٠) مهدى عبد الهادى، تعقيب على بحث أعده هنرى كنن بعنوان " مفاهيم إسرائيل – سياستها وممارسته على القدس "، واشنطن ١٩٨٥ .

(٤١) مصطفى مراد الدباغ، بلاد فلسطين فـــى بيـــت المقـــدس، ج١، دار الطليعـــة، بيروت١٣٩٥هـــ/١٩٧٥م .
(٤٢) مصطفى عبد الله شيحة، بحوث الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافى .
(٤٣) يوسف الغوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس فى العصر المملوكى، عمان١٩٨٢م .
(٤٤) يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس، سلسلة المدن الفلسطينية، المنظمـــة العربيـــة للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بدون
(٤٥) وثيقة القدس، منظمة المؤتمر الاسلامى، لجنة القدس، مطابع بيت المقدس، عمان – الأردن، ١٩٨٤م .
(٤٦). يحيى الوزيرى، التطور العمرانى والتراث المعمارى لمدينة القدس الـــشريف، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٤م .
(٤٧) Burgvoyne . M . H . Mamluk Jerusalem . 1987, London,p.32.

الرسائل الجامعية :

(١) أحمد أمين جمعة، المؤسسات الإسلامية فى منطقة آسيا الوســـطى ، دراســـه معماريه اثريه حضاريه ،رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٢م .